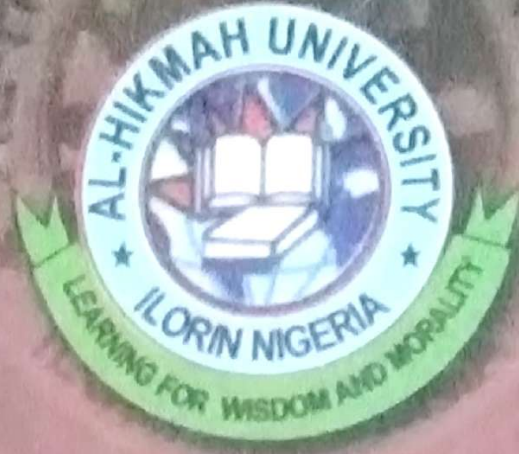




الجزء الثاني

العدد الثاني

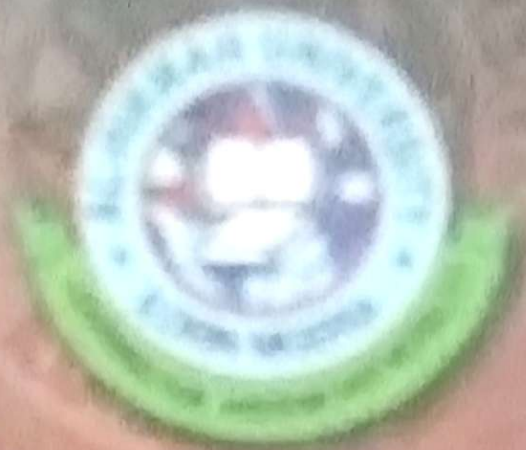
مجلة الأصالة

تصدر عن

قسمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية
في كلية العلوم الإنسانية

بجامعة الحكمة-إلورن-نيجيريا

ذو القعدة ١٤٣٢ هـ



AL-ASAALAH JOURNAL

Edited by

DEPARTMENTS OF ARABIC
& ISLAMIC STUDIES
COLLEGE OF THE HUMANITIES

AL-HIKMAH UNIVERSITY,
ILORIN, NIGERIA.

OCTOBER, 2011



ISSN: 2141-6885

مجلة الأصالة

AL-ASAALAH JOURNAL

حقوق الطبع محفوظة

ALL RIGHT RESERVED

No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, transmitted in any form or by any means-electronic, mechanical, photocopying or otherwise without prior permission.

ISSN: 2141-6885

© DEPARTMENT OF ARABIC & ISLAMIC STUDIES
COLLEGE OF THE HUMANITIES,
AL-HIKMAH UNIVERSITY, ILORIN, NIGERIA.

ذو القعدة ١٤٣٢ هـ

OCTOBER, 2011

Printed by:
Right Side Printing Enterprise
418 Ojo-male Road, Ikorin
08120871208, 08127143351

من مظاهر المنهج التاريخي في دراسة الأدب العربي النيجيري

د. خليل الله محمد عثمان بودونو

المحاضر بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الورد

المقدمة:

التاريخ مصدر من مصادر الأدب العربي، تربطهما علاقة وطيدة، يمكن القول إنها أمة علاقة بين الأم والأب، وقد أدرك النقاد والباحثون أهمية هذه العلاقة، ولذلك وضعوا للتاريخ مساهمة في دراسة الأدب والأدباء، ولقد ازدهر هذا المنهج في دراسة الأدب العربي النيجيري اثر ازدهار فن كتابة التاريخ وتصحيح الأخطاء الشائعة به، ففي القرن العشرين الميلادي حاول نخبة من العلماء النيجيريين تطبيق القوانين التي وضعها الباحثون في دراسة الأدب، ونظروا إلى جانبى المقيّد والمطلق في أعمال بلادهم العربية وميّزوا جيدها من رديتها. وستلقي هذه الورقة ضوءاً على بعض مواقف علماء نيجيريا تجاه المنهج التاريخي في دراسة الأدب، ولتحقيق هذا الهدف يقترح الباحث أن تدور الورقة حول النقاط التالية:

- ١- نظرة في المنهج التاريخي في دراسة الأدب.
- ٢- المنهج التاريخي في دراسة الأدب العربي القديم.
- ٣- المنهج التاريخي في دراسة الأدب العربي الحديث.
- ٤- المنهج التاريخي في دراسة الأدب العربي النيجيري.
- ٥- الخاتمة.

نظرة في المنهج التاريخي في دراسة الأدب

يعرف المنهج التاريخي بالمنهج الذي يتخذ من حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلة لفهم الأدب، ولهذا نظر إليه النقاد وذكروا له مجالات كثيرة منها:-

- ١- تعريف سيرة المؤلف، وتبع حياته، ومراحل نشأته، والظروف المختلفة التي أثرت فيه.
- ٢- تحرير النصوص والتأكد من صحتها ونسبتها إلى أصحابها، وخلوها من التشويه، والتحريف، أو الريادة والنقصان، وتحقيق تاريخها، أو زمان تأليفها والمرحلة التي تنتمي إليها^٢.
- ٣- دراسة الحركة الأدبية في عصر معين، وبيان موقعها من تاريخ الأدب، مما يساعد على الوقوف عند خصائصها ومميزات، وما أضافته إلى ما قبلها.
- ٤- دراسة فن أو نص معين في حقبة تاريخية معينة، أو مدرسة من مدارس الفكرية والفنية معتمداً على الظروف التاريخية والاجتماعية والاقتصادية.
- ٥- المقارنة بين النصوص الأدبية مشيراً إلى ما هو جديد.
- ٦- تصنيف النصوص في مدارس ومذاهب، بالاستعانة بما تم ذكره من مقارنات وموازنات^٣.

ولهذا لا يستغني دراسة الأدب عن التاريخ لأنه مما يساعده عند تفسير حقايا العمل الأدبي، إلا أن شأن المنهج التاريخي شأن أي منهج آخر فيه إيجابية وفيه سلبية، وعلى الأديب الحذر من الاعتماد عليه وحده. ومن أبرز مؤاخذات النقاد على هذا المنهج: قلة الاهتمام بالنص الأدبي، وطغيان التاريخ على الأدب، وتجاهل الخصائص الفردية، والمواهب الشخصية ونحو ذلك.

المنهج التاريخي في دراسة الأدب العربي القديم

يقول الباحثون إن المنهج التاريخي قد عاصر المنهج الفني تقريباً، إذ تلبس كلاهما بالآخر في أغلب الأحوال^٤. وكان القدماء في أول أمرهم يبنون دراسة أدبهم على الذوق،

وخاصة عند إصدار أحكام على الشعر الجاهلي، ومن ذلك نظرهم إلى الأربعة الكبار فهم النابغة، والأعشى، وزهير، وامرؤ القيس وقالوا إهم أشعر العرب كذلك قالوا في شعراء الإسلام أمثال جرير والفرزدق والأخطل طبعاً، فهذا لون من ألوان السداجة في المنهج التاريخي القائم على المنهج الفني^٥.

وبعد ذلك سار الذوق إلى جوار التدوين، فدون الأدباء النصوص المختلفة ونسبها إلى أصحابها، وذكروا ملابسها وبحثوا عن السرقات بين هذا وذلك، وتحدثوا عن أثر البداوة والحضارة في الأدب، وهذا من أوليات المنهج التاريخي^٦، ومن يعد من أعلام هذا المنهج أبو عثمان الجاحظ، وابن سلام الجمحي، وابن قتيبة، والمبرد، والآمدي، وأبو الحسن الجرجاني، وأبو هلال العسكري، وابن رشيق، وأبو علي القالي، وابن عبد ربه، وأبو الفرج الأصفهاني، والثعالبي والحصري ونحوهم، ومن هؤلاء الأعلام من كان المنهج الفني غالباً على مؤلفاته أمثال الجاحظ وابن قتيبة والمبرد، ومنهم من غلب عليه المنهج التاريخي ولكن مؤلفاته لم تخل من آثار الفن أمثال أبي الفرج الأصفهاني، وأبي علي القالي، والثعالبي. لقد استطاع هؤلاء أن يمزجوا بين المنهجين، ولكن المنهج التاريخي أوضح، ولا سيما في كتاب "الأغاني" الذي يثبت النصوص ويرويها سلسلة عن الرواة، ويصحح بعض الروايات، ويضعف البعض، ويذكر مناسبات النصوص وما يدور حولها من حوادث وروايات، ويعرف بالشاعر وطبقته ومزاجه. وكذلك صنع صاحب "الأمالي" في بعض النصوص دون البعض. أما صاحب اليتيمة فهو يذكر النصوص لأصحابها، ويعرف بهم، ويذكر مترلتهم في الأدب، وقد يتطرق إلى تعليل جودة شعر على شعر بالبيئة والوسط كما صنع في تفضيل شعراء الشام على شعراء العراق، وأخذ شاعر عن شاعر وكل هذا من صميم المنهج التاريخي^٧.

ومما يجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن الأدباء العرب القدامى قد عرفوا أصول المنهج التاريخي قبل الأوروبيين بأزمان طويلة. نرى ذلك من خلال مؤلفاتهم التي لا تزال منارة

يهتدي بها كل من يسلك هذا الدرب، إذ أقبل هؤلاء الأدباء يؤلفون موسوعاتهم، دون علم بالمصطلحات الحديثة، وإنما كتبوا بفطرتهم، واعتمدوا على أذواقهم، وما وصل إليهم من أخبار العرب، وأحوال الأدباء وما يتصل بهم عن طريق الرواية حتي ازدهرت الثقافة في العصر العباسي، وبدأ كثير من المؤلفين نحو تحديد منهجهم، ورسم إطار خاص، ينطلقون من خلاله نحو تسجيل ما يريدونه^٩.

المنهج التاريخي في دراسة الأدب العربي الحديث

عند ما نصل إلى دراسة الأدب العربي الحديث، نجد أن المنهج التاريخي، قد تطور وانتشر في مجال الدراسات الأدبية من خلال عاملين مهمين:

الأول: قيام جماعة من المستشرقين بجمع مسائل اللغة العربية من أدب وقواعد وتاريخ، والكتابة حولها على هدي المنهج التاريخي، كما فعل "بروكلمان" في كتابه "تاريخ الأدب العربي" عام ١٨٩٤م الذي درس فيه الأدب العربي دراسة وافية، بعد أن قسمه إلى عصور مختلفة، وبيّن خصائصه في كل عصر تبعا للظروف السياسية، والاجتماعية، والفكرية وغيرها. وقد اطلع الدارسون العرب على ذلك الكتاب، وتأثروا به، وحاولوا نقل المنهج التاريخي إلى أدبنا العربي.

الثاني: تأثير البعثات الموفدة إلى أوروبا في مجال الدراسات الأدبية بعد عودتهم إلى بلاد العرب، وأول من أرسى قواعد هذا المنهج من المحدثين العرب هو: الأستاذ حسن توفيق العدل، وذلك بعد عودته من ألمانيا عام ١٨٩٦م، وقيامه بالتدريس في دار العلوم. ولقد أخرج كتاب "تاريخ أدبيات اللغة العربية" سنة ١٩٠٤م متأثرا ببروكلمان الذي قسم الأدب إلى عصور مختلفة، موضحا الاتجاهات الأدبية لكل عصر، من خلال تأثره بالعوامل السياسية والاجتماعية والفكرية^{١٠}.

ولقد تأثر بالأستاذ "العدل" عدة من الأدباء والنقاد، وساروا كما سار على المنهج التاريخي، وأولهم فيما عرفنا الأستاذ أحمد الإسكندري في كتابه "الوسيط" والأستاذ مصطفى صادق الرافعي في كتابه "تاريخ آداب العرب" والأستاذ حسن الزيات في كتابه "تاريخ الأدب العربي" والأستاذ حنا الفاخوري في كتابه "تاريخ الأدب العربي" ثم صار المنهج التاريخي بعد ذلك منهجا يتبع لدى كثير من أدبائنا المعاصرين، أمثال الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، والدكتور شوقي ضيف وغيرهما^(١١).

وفيما سبق يتضح لنا أن النقاد المحدثين قد جمعوا بين الثقافتين: العربية والغربية في اهتمامهم إلى المنهج التاريخي، ورغم أنهم تأثروا بروكلمان وتوفيق العدل وغيرهما من الغربيين والمستشرقين، فإنهم مع ذلك التزموا كثيرا أو قليلا بالمنهج الذي أخذوه من ابن سلام الجمحي، وابن قتيبة، وابن عبد ربه ونحوهم من علماء العرب أصحاب المنهج التاريخي، ولذلك جاءت أعمالهم الفنية توافق البيئة العربية التي عاشوا بها. ومن الذين اتخذوا هذا المنهج مسلكا الأستاذ العملاق عباس العقاد وخاصة في كتابه "شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي". ولقد اهتم الأستاذ العقاد بدراسة البيئة، وخاصة البيئة المصرية، وعللها تعليلا دقيقا وقال:

"لن يتيسر لنا أن نفهم الأطوار التي عبر بها الشعر المصري الحديث، بغير فهم هذه البيئات، ولن يتيسر لنا أن ندرك معنى الانقلاب الذي طرأ على الأذهان والأذواق، في أواخر القرن التاسع عشر، ثم في أوائل القرن العشرين بغير استقصاء معنى الأدب والشعر كما كان ملحوظا في جميع تلك البيئات"^(١٢).

ولهذا الأساس يتكلم العقاد ويتناول شعر الشعراء المصريين من حيث النشأة والأسرة والتعليم، فمثلا عند ما يتكلم عن دافع المديح عند حافظ إبراهيم أخذ يقول: "والذي نعتقده أن شعر المديح من أفضل المقاييس لقياس حالة الأمة والشاعر والأدب،

في وقت واحد... فحافظ إبراهيم يمثل أمته في مدنه كما يمثلها في قصائده الاجتماعية، فهو مديح يدل على مراحل الأدب، والحريه والقومية في الأمة المصرية مرحلة بعد مرحلة¹⁷ وعند حديثه عن الشاعر محمد عبد المطلب، أشار إلى سلامة الشعر المصري من السخافات، والتلفعات اللفظية، وركاكة الاستدال، ورأى أن السب في ذلك يرجع إلى امرين: أحدهما أدبي قريب من الشعر والشعراء، وهو سريان الشعر القديم من أيدي المتأدين والقراء، على أثر ظهور الطاعة وانتشار آثارها في البلاد الشرقية.

أما الأمر الآخر الذي أثار على حديثه الفحولة في الشعر العربي بمصر، فهو دني يتصل بالأدب والشعر من طريق داني، ولكنه طريق ظاهر، ثم فصل ذلك لفصلاً، وأوضح شوع النهضة في الشرق كله¹⁸ وأخذ يقول معللاً بدعوة عبد المطلب في شعره:

فإذا اسعرب القاري كيف اهتدى محمد عبد المطلب إلى صحة الأسلوب، وبما عن زحرف الصاعه المرككة، وظلاوة الحساب المعربة، ففي اسمه، وبسته، وأصله، ونشأته، وتعليمه تأويل تلك المعربة، وإذا كانت الدعوة إلى إحياء الفصاحة العربية، والعودة بالاسلام إلى ما كان عليه في صدر أيامه، دعوة قد أصابت مستمعا من كل مسلم في إبان النهضة الأولى، فلا حرم تلقى هذه الدعوة شاعراً حقاً لها، في الرجل الذي اسمه محمد بن عبد المطلب، وأبوه من أهل الطريق، وأصله من العرب، ونشأته على البداوة، والدراسة الدينية، وتعليمه يدور على الفقه والعربية¹⁹.

سار الأستاذ العقاد على نمط المنهج التاريخي في كتابه: "شعراء مصر وبيناقم في الجيل الماضي" مركراً على تأثير البيئات المصرية وغيرها بالولائها المختلفة في حياة وشاعرية مجموعة من الشعراء منهم: حافظ إبراهيم، وحفي ناصف، وإسماعيل صري، ومحمود سامي

البارودي، وعائشة البهريّة... تسعهم جميعاً دراسة متأنّة، وأثر الأحوال السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والفكريّة على أشعارهم، وأثر العقائد إلى أن الثورة العربيّة قد أدت إلى اختلاف البيئات عند أولئك الشعراء.

وهناك ثالث آخر سلك هذا المنهج وأثر تأثيراً واضحاً فيما خلفه القاد، وهو الدكتور طه حسين، الذي اتخذ المنهج التاريخي سبيل في كتابه "مع النبي" وكتاب "فصول في الأدب ودراسة الأدب" وكتاب "ذكرى أبي العلاء" وكتاب "حديث الأربعة" وكتاب "في الأدب الجاهلي". أما في الكتاب الأخير فقد تحدث طه حسين عن المنهج المتبع في دراسة الأدب، ثم لخص آراء الغربيين أمثال: "سانت بيك"، "ولين"، "برونسترو"، وعطف عليها بما يفيد عدم لقته لها، واستنكاره لها، كقولته معطفاً على "برونسترو" صاحب نظرية تطور الأحاسيس الأدبية: "إن يظهر تاريخ الأدب من هذا الشيء ذي غشاء، لأنه مهما قبل في الزمان، والحس، والبيئة ومهما قبل في تطور الفنون الأدبية فستظل أمامه عقدة لم تحل بعد، ولم يوفق هو إلى حلها، هي نفسية المسح، والصلة بينها وبين أفكارها الأدبية". يدل هذا القول على رفض طه حسين لهذا المنهج.

وفي هذا الكتاب قسم طه حسين الأدب إلى قسمين: إنشائي، ووصفي، وتحدث عن علاقة الأدب بالثقافة والتاريخ، وعن الجاهليين والعجم، وأدعاهم، وعرض للاستحالة في الشعر الجاهلي، وعرض وجهة نظره فيها، وبين أن الحل ليس مقصوراً على العرب، وتكلم عن فنون الشعر العربي، وموقف المعاصرين منها، ثم ألقي ضوءاً على الشعر الجاهلي وأبدى رأيه فيه. ومما يتضح لنا أن الدكتور طه حسين اعتمد في جميع القضايا التي يعالجها في هذا الكتاب على أسس البيئة والعصر، فحدثه عن القبائل العربيّة، ولغاتها، وأدائها، والوقوف على مظاهر الاختلاف بينها، لا يتم إلا بالنظر إلى المقاييس الرومانيّة والمكانيّة، وقضية الاستحالة التي تعد من أبرز قضايا الكتاب، لا يمكن التوصل إليها إلا من خلال الاستقراء، وتبني النظم

اللغوي والفني لكل بيئة. وهذا من صميم عمل المنهج التاريخي^(١٧). ومن أمثلة ذلك كد حديثه عن شعر المتلمس، وأقامه بالنحل والصنعة، فيقول:

"وأمر المتلمس أسر من أمر طرفه، فشعره يعود بنا إلى شعر ربيعة الذي قدمنا الإشارة إليه، وإلى ما فيه من رقة، وإسفاف، وإبدال، ومن غريب أمره، أن التكليف فيه ظاهر، ولا سيما في القافية. وأكبر ما يضاف إلى المتلمس من شعره، أو أكثره على أقل تقدير مصنوع، الغرض من صنعه تفسير طائفة من الأمثال، وطائفة من الأخبار، حفظت في نفوس الشعب عن ملوك الحيرة وسيرهم، في هؤلاء الأخلاط من العرب وغير العرب الذين كانوا يسكنون السواد، ولا أستبعد أن يكون شخص المتلمس نفسه قد اخترع اختراعا"^{١٨}.

ولقد أتى الناقد ببعض أشعار المتلمس ليقنع القارئ برأيه، وأما شكوكه في شعر المتلمس فيرجع إلى رقة لغة الشعر وسهولتها، ونحو ذلك من غير المألوف في البيئة البدوية، بمعنى أن الناقد أخذ البيئة معياراً للحكم على الشعر والشعراء.

المنهج التاريخي في دراسة الأدب العربي النيجيري

نستطيع ربط وجود هذا المنهج التاريخي في دراسة أدبنا العربي بازدهار فن كتابة التاريخ في هذه البلاد، ففي القرن التاسع عشر الميلادي نهضت كتابة التاريخ نهضة عظيمة على أيدي أبناء فودي، فحاول طائفة منهم ضبط تواريخ بلادهم وأحوال قومهم، وأسباب جهادهم. وفي مقدمة هؤلاء السلطان محمد بلو في كتابه "إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور" وعمه الأستاذ عبد الله بن فودي في كتابه "تزيين الورقات بجمع بعض ما لي من الأبيات" وعلى إثر مجهودات أبناء فودي تقدم فن كتابة التاريخ في القرن العشرين الميلادي

تقدما ملحوظا، وأخذ العلماء يتناولون تاريخ بلادهم من شتى الجوانب، ويتبنون طريقة معينة قومهم ونحو ذلك.

ولقد يعد الشيخ أحمد بن أبي بكر الفلاني الألوري المعروف بابن كوكورو، والشيخ محمود أحمد بوئي، والشيخ آدم نسماحي الكنوي، والشيخ الوزير حيد بن البخاري، والشيخ أحمد الرفاعي بن محمد بلو الإبادنوي من أبرز المؤرخين الذين ساروا على ضوء المنهج التاريخي في القرن العشرين، وأما الذين هم أكثر منهجية وتحديدا في هذا القرن فهم الشيخ آدم عبد الله الإلوري، والشيخ علي الكماشي الكنوي، والشيخ إبراهيم صالح البرناوي، والشيخ مصطفى زغلول السنوسي، والبرفيسور عبد الرحيم عيسى الأول، والبرفيسور زكريا إدريس أبو حسين، والشيخ آدم يحيى عبد الرحمن الفلاني.

وأما الشيخ آدم عبد الله الإلوري فكانت له دراسات كثيرة في مجال التاريخ، فاختار منها كتابه "نحات البلور في مشاهير علماء إلورن" يوحد في هذا الكتاب ملامح كثيرة للمنهج التاريخي ممثلة في حديثه حول الطبقة والمكان والقلية والجانب الفني. وإليك بيان ذلك فيما يأتي:

١- الطبقة: وإذا نظرنا إلى كتاب "نحات البلور" نجد الشيخ آدم عبد الله الإلوري قد سار على نفس المبادئ التي سار عليها النقاد العرب أمثال ابن سلام الجهمي في تقسيم الشعراء والعلماء إلى الأزمنة المختلفة والطبقات المتباينة. وعند الشيخ آدم ينقسم علماء مدينة إلورن إلى أربع طبقات وقال:

"قسمت طبقات علماء إلورن إلى أربع طبقات، وقصرت كل طبقة على خمسين عاما لأن الذين عاشوا في كل طبقة قد قضوا شظرا من حياتهم في طلب العلم قبل أن يبرزوا إلى الميدان، ولا يطول زمن أي نابغ على المسرح أكثر من خمسين عاما قبل

ظهور تابع آخر في طبقة أخرى لاحقة. لذلك يمكن تقسيم أولئك العلماء الذين عاشوا فيما بين ١٢٠٠هـ حتى ١٤٠٠هـ إلى أربع طبقات: الطبقة الأولى في الجزء الأول من القرن الثالث عشر الهجري، والثانية في النصف الأخير منه، والثالثة في القرن الرابع عشر والرابعة في النصف الأخير منه^{١٩}.

فمن هنا نلمس أن الشيخ آدم عبد الله الإلوري انكب على دراسة التاريخ على هدي أعلام التاريخ والأدب عند العرب، وتأثر بمنهج علماء الغرب الذين يقسمون الأدب والتاريخ إلى عصور مختلفة تبعا للظروف السياسية والاجتماعية.

٢- المكان: فالعلماء الإلوريون عند الشيخ آدم إما من الوجه القبلي، فهو الذي يقع شرقا من سوق الأمير، ويبتهم مما يلي القبلة من الجامع الكبير، ويسمى بالحلي الفلاني أو الهوساوي، وإما من الوجه الغربي، يقع غربا من سوق الأمير مما يلي الغرب، ويعرف بالحلي الملوي أو الحلي اليربوي^{٢٠}. إذ لكل حي علماءه الأكابر، وقد أشار الشيخ إلى آثار أدبية أو علمية لكل عالم بعد إشارة إلى الأسبقية العلمية للقسم الشرقي.

٣- القبلية: ذكر الشيخ آدم عبد الله الإلوري قبائل بعض العلماء، وتكلم عن أسماء آبائهم وعن اللقب أو الكنية التي عرفوا بها، فمثلا يقول في شأن الشيخ أبي بكر "بوي هو من قبيلة غوبر"^{٢١} وفي شأن الشيخ إبراهيم العطار، قال: "أصله من أويولي قدم إلى إلورن مع إخوانه الستة بقصد الهجرة بدينهم"^{٢٢}. وأما قوله في شأن أبي بكر إساليكوتو فهو كالأبي:

"هو تلميذ الشيخ عبد الله الفلاني الذي كان من أصدقاء الشيخ عالم، قيل: إنه أدرك حياة الشيخ عالم وقيل بل أدرك عهد ابنه عبد السلام، ومن أجل كونه من أخص أصدقاء الشيخ نزل قريبا من محل الشيخ نفسه، ولم يرزق ولدا، ولكنه تبني تلميذه أبا بكر الذي نبغ على يديه وورث علوم شيخه عبد الله بعد

وفاته، ومن تلامذة أبي بكر ابنه محمد المختار الذي ناب مناب
أبيه بعد وفاته^{٢٣}

هكذا أخذ الشيخ يلقي ضوءاً على حياة علماء إلورن السابقين، ويتحدث عن
أحوالهم وأزماتهم وأعمارهم. وكل ذلك من صميم المنهج التاريخي. كما يتناول الحديث عن
وظائف بعضهم وصناعاتهم ومعيشتهم، وورعهم وزهدهم، سيرا في ذلك كله على منهج
تاريخي واضح.

٣- التجويد الفني:

كان للشيخ آدم عدة أساليب في تقويم وتحليل أعمال علماء إلورن الفنية، منها رأيه
في القصيدة التي مطلعها:

خذ بكلام العالمين يا أخي ** العاملين بسنة لا من ربا

قال:

"لم تتفق الروايات الشفوية على صاحبها (أي القصيدة)، فبعض
الناس ينسبها إلى الشيخ عالم، ولكن ركازة القصيدة وضعف
تأليفها يحمل على الشك في هذه النسبة، والراجح أنها قصيدة
بعض الطبقة الأولى من علماء هذه البلاد لأنها مشهورة لدى
جميع طلبة العلم في هذه المدينة وفي كل مدينة من بلاد يوربا مما
يدل على قدمها"^{٢٤}.

وبالنسبة إلى مراثية الشيخ أبي بكر إكوكورو للإمام هارون يابادن التي مطلعها:

ألهفي على ما القلب منه تفجعا ** وما عارض الأكباد حتى تصدعا
لموت فقيه عالم متورع ** صبور صدوق مستجاب إذا دعا

يقول الشيخ آدم في شأن القصيدة وقائلها:

القصيد كما ترى ذات مستوى رفيع في البلاغة والفصاحة لم نعلم في هذه القصيدة على أيدي علمائها لم تخرج منها إلى بلاد العرب، ولم يلق عربياً ولم يكتب له الخج إطلاقاً، ولم يزر معهداً عالياً ولا جامعة بل كان تعلمه كله على الأسلوب الفليدي القديم، وعلى علماء كلهم الخاجم من هذا البلد^{٢٢}

وأما ملاحظته حول شاعرية الشيخ محمد كمال الدين الأدبي فهي فيما يأتي:
كان الشيخ كمال الدين يقول الأشعار ولكنه شديد الحرص عليها، وكان يكتبها لئلا يقع في طعن القاد الخارين على حد قول الشاعر:

ولا يزال المرء في فسحة^{٢٣} من أمره ما لم يقل شعراً

ولكننا عثرنا على بعضها وهي جيدة، من ذلك ما ارتجله يوماً لأمير يوشي الذي نزل صيفاً على أمير الورن فقام الألمان بزيارة مدرسته حوالي ١٩٤٥م.

بدأ قمرًا محمد بمدرسة العلا^{٢٤} أميراً من الأصاغر عطفة

أمير الورن والأمير نزيله^{٢٥} أمير يوشي ذي حما وسرية

فما تقدم يتضح لنا أن الشيخ آدم عبد الله الألوري كان على الصواب عند دراسة الأصول الفنية للمنهج التاريخي، إذ أسلوبه في الكتاب دليل على عمق فهمه لطبيعة فن التاريخ، وإدراكه ما ينبغي أن يقوم عليه الدارس الأدبي.

ومن الذين سلكوا هذا المنهج، أستاذان أكاديميان هما الدكتور عبد الرحيم عيسى الأول في كتابه "الكشاف في الأدب العربي للمدارس الثانوية بعرب أفريقيا" والبرفيسور زكريا إدريس أبو حسين في كتابه "المادة الأدبية لطلاب العربية في أفريقيا الغربية". وقد سار كلاهما على منهج تقسيم تاريخ الأدب العربي إلى عصور مختلفة موضحين الاتجاهات الأدبية لكل عصر، من خلال تأثير الأدب بالعوامل السياسية والاجتماعية والفكرية. وأما الأول فقد تكلم حول كلمة الأدب، وأقسام الأدب ولسانه، والعوامل التي تؤثر في الأدب.

كما تناول العصور الأدبية الخمسة المعروفة، حيث سلط ضوءاً على بعض الأدباء وأعمالهم الشعرية والنثرية أمثال امرؤ القيس، وزهير بن أبي سلمى، والخنساء، وقيس بن ساعدة الإيادي، وحسان بن ثابت، وجرير، والمتنبي، وابن زيدون الأندلسي، وسيدنا علي كرم الله وجهه، والحجاج، وأحمد شوقي، وإيليا أبي ماضي، والمنفلوطي مشيراً إلى أثر الإسلام والقرآن الكريم في الأدب العربي، وإلى خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم ناقش مكانة الأدب العربي في إفريقيا الغربية مركزاً على الثقافة العربية والإسلامية، والخلافة الصوكرية، وحياتة الشيخ عبد الله بن فودي وكتابه تزيين الورقات، ثم تكلم عن الشيخ آدم عبد الله الإلوري وحياتة وكتابه "الإسلام في نيجيريا" تطرق المؤلف في هذا الكتاب إلى الشرح والتحليل، وإلى ذكر المعنى الإجمالي، فبعد شرحه لألفاظ قصائد الخنساء لاحظ ملاحظة فنية وقال:

"يلاحظ في بعض أبيات الخنساء بعض الأساليب البديعية نلمس استخدامها للتشبيه حيناً والمبالغة أحياناً، ومن تشبيهها ما ذكرت في البيت الثاني في القصيدة الثانية عند ما شبهت وجه مرثيا بالشمس، ومن مبالغتها في نفس القصيدة ادعاؤها بكسوف الشمس وخسوف القمر، وبكاء الجن والوحوش كل ذلك لأجل أحيائها الفقيده والمبالغة في الرثاء لا تختص بالأشعار العربية وحدها بل نجد مثل ذلك حتى في أشعار اليوربا، وعلى سبيل المثال نجد في رثاء وتدي أبنؤلا للملك عن أولاد بؤلؤ الأول أنه ادعى بتوقف المطر من التزلزل وأنهم لم يروا بعد موته إلا الرياح، وأن جميع ما لديهم إلى وحل وطن^{٢٦}"

وهكذا أبدى المؤلف رأيه الفني تجاه الشعر والشعراء، وأشار إلى أن الشعر في أثناء النصف الأول من القرن التاسع عشر وما قبله من عصر الانحطاط على صورة سيئة في أغراضه ومعانيه وأساليبه. كانت الأغراض ضيقة والمعاني ساقطة، والأساليب مثقلة بأغلال

القديم. كل ما تعلم به الشعراء في هذه الفترة هو تعلم من العروض وصياغة النظم. هذا لا حياة ولا منعة أدبية في أشعارهم. وكان من المستظر أن يتغير الشعر في مصر منذ الحملة الفرنسية سنة ١٧٨٩م. والاتصال بالحياة العربية ولكن لم يعمل هذه الحياة الجديدة احساس الشعراء. ثم جاء محمد علي في ١٨٠٥م. ووجه النهوض على العلم والفن التطفي بدون اعتناء بالشعر والشعراء. إذ لا يزال الشعراء في الظل والنس كما كانت حالتهم في أثناء الحكم العثماني. ولذلك حمد الأدب وحمد الشعر معه^{٢٧}

وعلى هذا الموال سار الدكتور عبد الرحيم عيسى الأول في كتابه حيث يتحدث عن الشعراء والكتاب، ويركز على البيئة، ويوضح مدى تأثيرها في تغير مسار حياة الشاعر أو الكاتب. ومن ذلك قوله بأن أحمد شوقي كان يستخدم في كثير من شعره لغة الصحف السهلة^{٢٨}. ويذهب إلى أن كتاب "العبرات" للأستاذ مصطفى لطفى المفلوطي تغلب عليه صفة الشاوم والحزن. والكاتب يريد أن ينال الأشياء والبؤساء تعريتهم وسلوهم في الكتاب

وأما البروفيسور زكريا حسن فإنه أوسع في كتابه "المأدبة الأدبية لطلاب العربية في أفريقيا العربية" واشتمل من زميله الدكتور عيسى الأول. فقد أضاف في كتابه أشياء مفيدة آخر لطلاب اللغة العربية في غرب أفريقيا، ومما يدل على سيده على المنهج التاريخي في هذا الكتاب نصيحة للمدرسين أن يشجعوا طلابهم على تعلم الجوانب التاريخية من الكتاب بالقراءة النموذجية المكررة، وفهم بنات أصحاب النصوص الشعرية والنثرية المقررة، وقراءة النصوص مرارا وفهم المفردات الصعبة وتحليل النصوص. بما يحار وحفظ حل النصوص^{٢٩}

وهذه النصيحة كما ترى يكشف لنا عبر المنهج التاريخي عن سمات كثير من الأدب العربي في ظل البنات المختلفة. وذلك لأن الأدب مرآة الحياة الاجتماعية. والسياسة وغيرهما. فلا يمكننا فهمه إلا إذا فهمنا البيئة التي نشأ فيها والظروف التي أنتجت فمثلا عندما

أراد البروفيسور تقسيم الأدب العربي النحري إلى عصور مختلفة، أخذ يبنى تقسيماته على الظروف التي أثرت فيها. وهذه العصور عنده تنقسم إلى ستة أقسام، وهي عصر الاستهلال، وعصر الاسترشاد، وعصر الاستقرار، وعصر الاستعمار، وعصر الاستقلال، وعصر الإزدهار^٣.

فمثل هذه التقسيمات يساعدنا في الوقوف على آراء الأدباء والنقاد، وعقائدهم ونزعاتهم المختلفة. فأول من أحرز قصب السبق في تقسيم الأدب العربي النحري إلى عصور مختلفة، هو الشيخ آدم عبد الله الإلوري في كتابه "مصباح الدراسات الأدبية في الديار النحرية" ثم البروفيسور أحمد سعيد غلادنتي في كتابه "حركة اللغة العربية وآدابها في نحييا". قسم الأول عصور الأدب العربي في نحييا إلى خمسة عصور: العصر النعري، والعصر البرناوي، والعصر المغيلي، والعصر الفلاني، والعصر الإنجليزي. والثاني جعل العصور خمسة أقسام أسماها: فترات، فهي فترة تأسيس الممالك والولايات (من القرن العاشر إلى آخر الثالث عشر) وفترة الوفود والحركات الإسلامية في تلك الممالك والولايات (من القرن الرابع عشر إلى الثامن عشر تقريبا) وفترة دولة سكوتو. (١٨٠٤-١٩٠٣) وفترة الاستعمار (١٩٠٣-١٩٦٠) وفترة ما بعد الاستقلال (١٩٦٠-١٩٦٧). وإذا أردنا الموازنة بين آراء هؤلاء الأدباء حول تقسيم الأدب العربي النحري وتحديدده إلى مختلف عصور، نجد أن الشيخ آدم عبد الله الإلوري لم يخرج عن طريق الأدباء العرب في العصر الحديث، ونرى البروفيسور غلادنتي يميل إلى أسلوب الغربيين أكثر في تقسيمه العصور الأدبية إلى فترات، ولكن البروفيسور زكريا حسين حاول الجمع بين الاثنين محاولة جادة، إلا أن التكلف يظهر في أسماء تلك العصور التي قسمها، ولكن الذي لا يدع مجالا للشك هو أنه أكثر دقة في كتابه، وأوضح منها من زميله.

أما الناقد الذي أشار إلى مخاطر المنهج التاريخي، فهو الأستاذ آدم يحيى عبد الرحمن الفلاني، وذلك في كتابه "مع المؤرخين في بلاد يوربا" وحوار حول شخصية الإلوري غيرهما. فلقد ألقى الفلاني أضواء على ما يسميه الباحثون بالاستقراء الناقص في المنهج التاريخي، فهو الاعتماد على الحوادث البارزة، والظواهر القلة التي لا تمثل سير الحياة الطبيعي. فآلع الحوادث وأبرز الظواهر ليست أكثر دلالة من الحوادث العامة والظواهر الصغيرة، وما نراه نحن أكثر دلالة قد لا يكون كذلك في ذاته، بل ربما كان انجذابنا الخاص للإعجاب به أو الزرابة عليه هو علة ما نرى فيه من دلالة بارزة، والأسلم أن نجمع أقصى ما نستطيع الحصول عليه من الظواهر والدلائل. حادثة أو نص أو مستند، وألا نصدر أحكامنا إلا بعد الانتهاء من جميع هذه الأسايد فذلك أضمن وأكفل بالصواب³¹. ومن طراز هذا الاستقراء الناقص مسألة أثارها الأستاذ ثوبان آدم عبد الله الإلوري في تجانية الشيخ آدم عبد الله الإلوري، وذلك عندما يحلل كلمة (زعموني) الواردة في كلام الشيخ عند قضية انتمائه إلى الطوائف الصوفية أو السلفية، ومما جاء في تعليق الأستاذ ثوبان على تلك الكلمة قوله:

"قد أثبت الشيخ الإلوري رحمه الله لنفسه التجانية أو على الأقل

الانتماء إلى الزمرة التجانية بنص صريح غير ذي عوج فياليتكم

تعيدون النظر في مقالة الشيخ الإلوري وتواريخه"³².

يريد الأستاذ ثوبان بهذا المقال أن ينظم الشيخ آدم عبد الله الإلوري في حظيرة اهل الطريقة التجانية ولكن الأستاذ الفلاني وقف مضادا لهذا الراى، لانه لاحظ فيه شيئا من خطورة الاستقراء الناقص وقال:

"نظم الشيخ الإلوري، ونظم معه منهجه إن زعمنا أنه أثبت

لنفسه من ثنايا تلك المقالة السابقة التجانية أو القادرية أو

السلفية. ولقد قرأت أنا المقالة مرة بعد مرة فلم أجد ما يفيد هذا

الإثبات، وكل ما أجده أنا هو أن الإلوري يثبت لنفسه روح

الوحدة والتسامح مع هذه الطوائف الثلاث، ويثبت بعد ذلك أن

هذه الطوائف الثلاث قد خرجت عن صفاتها الأولى إلى أحوال
وتصرفات تأتي بها العقول الناصحة وتشتت منها النفوس
الظاهرة^{٣٣}

واستمر يقول:

"لست أدري لماذا لم يفهم ثوبان روح الوحدة والتسامح في مقالة
"زعموي" ولماذا لم يفهم أن قوله "أنا قادري أنا نحائي أنا سلفي" لا
تدل على نجائته ولا قادرته ولا سلفيته، وإنما تدل على توحيده
وإسلاميته، وتدلل على تسامحه مع غيره في أمور عقائدية يكفر
لأجلها بعضهم بعضاً"^{٣٤}

وكذلك تناول الأستاذ آدم يحي الفلاحي ما يسميه النقاد بالأحكام الجازمة في هذا
المنهج التاريخي، فهذه الأحكام هي أن تورد مسائل تاريخية جزافاً من دون الإشارة إلى
مستنداتها^{٣٥}، ولقد أشار الأستاذ الفلاحي إلى خطورة ذلك عند ما يناقش الإسناد التاريخي في
كتابه "نسب الصبا" للشيخ الإلوري "وأزهار الربا" للأستاذ زغلول، وفي ذلك أخذ يستعمل
التعابير دراسة الأدبية المختلفة أمثال: "تجتمع الأدلة على ضعفها" و"لم يذكر أسماء أولئك
الأصدقاء الذين تحدثوا بتلك الأخبار" و"تلك الأخبار قد تكون ضرباً من إشاعات أهل
السوق" و"لا طائل تحتها عند العلماء"، وهكذا دواليك.

ولقد أشار الأستاذ الفلاحي إلى بعض أخطاء المنهج التاريخي التي أسماها سيد قطب
بالغاء قيمة الخصائص والبواعث الشخصية في المنهج التاريخي، وعند ما يتصفح الفلاحي كتاب
الأزهار للأستاذ زغلول وجد فيه هذه الأخطاء وأظهرها قائلاً:

"ذكر أناساً من معاصريه في كتابه، ولم يترجم لهم ولا لسيرة
حياتهم. وذكر أسماء معارفه من العلماء في كل مدينة من مدن
بلاد يوربا، لكنه لم يصفهم بما يمكن أن يوصف الناس؟ من
أخلاقهم وعاداتهم"^{٣٦}

ولو نظرنا إلى كتاب مع المؤرخين للأستاذ آدم يحي عبد الرحمن الفلاني نجد أنه أفادنا كثيرا في موازنة بين المؤرخين (الشيخ آدم عبد الله الإلوري والأستاذ مصطفى زغلول السنوسي)، ووصل إلى نتيجة صحيحة في ذلك، لأنه استطاع أن يدرس نزعتيهما ويبيتهما بالتعمق، وكشف لنا عن كثير من سمات كل واحد منهما، وإن كان الأستاذ أحمد سعيد الرفاعي لم يقنع بصنعة الفلاني بل حاول تعيب كتابه بكتاب آخر أسماه "مع مؤرخين" فشان الناقد في هذا الصدد لا يختلف كثيرا عن شأن ابن الأثير صاحب كتاب "المثل السائر". وابن الحديد صاحب كتاب "الفلك الدائر" في دراسة الأدب، وفي نقد بعضهما البعض. ومن خلال هذه المحاولات، نلمس الجهود المثمرة التي بذلها علماء هذه البلاد في المنهج التاريخي لدراسة الأدب العربي النجيري.

الخاتمة

يجد القارئ أن المنهج التاريخي لدراسة الأدب قد تطور في نيجيريا خلال القرن العشرين الميلادي تطورا كبيرا، حيث أخذ علماء دراسة الأدب العربي في نيجيريا يربطون بين التاريخ والأدب برباط قوي، ويوازنون بين الأدباء على ضوء موازنة العرب بين المتبني وابن دراج، ويكشفون عن سمات كثير من الأدب في ظل عدد من البيئات النيجيرية، لأن الأدب مرآة الحياة الاجتماعية والسياسية، ويبدو أن علماء نيجيريا لم يسرفوا في تطبيق المنهج التاريخي على أعمال الأدب العربي في بلادهم، ولم يعتمدوا على هذا المنهج وحده بل مزجوا دراستهم في هذا الصدد بالمنهج الفني لذلك استطاعوا أن يقوموا بالأحداث والشخصيات تقويما فنيا، وعندما نظر إلى أساليب علمائنا النجيريين في تطبيق قوانين هذا المنهج نجد أنها واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار وأن تأثيرهم بالعرب لم يمنع ظهور شخصياتهم الفنية وإن كان يؤخذ على بعضهم التعصب القبلي والتأثرات البيئية والترعات الدينية ونحو ذلك.

هوامش البحث

- ١- د. وليد قصاب: منهج دراسة الأدب الأدبي (رؤية اسلامية) ط ١، دار الفكر دمشق، عام ٢٠٠٧م، ص ٢٣
- ٢- المرجع نفسه، ص ٢٨
- ٣- المرجع نفسه، ص ٢٩
- ٤- د. سيد قطب: دراسة الأدب الأدبي أصوله ومناهجه، ط ١ غير مؤرخ، دار الشروق، ص ١٥١
- ٥- المرجع نفسه، والصفحة نفسها
- ٦- المرجع نفسه، ص ١٥١
- ٧- المرجع نفسه، ص ١٥٢
- ٨- د. محمد حسن عازل: البحث الأدبي أسسه ومناهجه، مكان النشر وتاريخه غير مذكورين، ص ٦٥
- ٩- المراجع نفسه، ص ٦٤
- ١٠- المرجع نفسه، والصفحة نفسها
- ١١- عباس محمود العقاد: شعراء مصر وبنائهم في الجيل الماضي، دار فنية، مصر، ص ٣
- ١٢- المرجع نفسه، ص ١٨
- ١٣- المرجع نفسه، ص ٣٨
- ١٤- المرجع نفسه، ص ٤١
- ١٥- د. حسن محمد حسن عازل: المرجع السابق، ص ٧١
- ١٦- المرجع نفسه، ص ٧٣
- ١٧- د. طه حسين: في الأدب الجاهلي دار المعارف، مصر، ص ٢٤
- ١٨- آدم عبدالله الألورى (الشيخ) لحات البلور في مشاهير علماء الورن، ط ١ مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٨٦م ص ٨

- ١٩- المرجع نفسه، و صفحة نفسها
- ٢٠- المرجع نفسه، ص ٢٦
- ٢١- المرجع نفسه، ص ٣٣
- ٢٢- المرجع نفسه، ٢٩
- ٢٣- المرجع نفسه، ص ٢٢
- ٢٤- المرجع نفسه، ص ٥٣
- ٢٥- المرجع نفسه، ص ٧١
- ٢٦- د. عبدالرحيم عيسى الأول: الكشاف في الأدب العربي للمدارس الثانوية بغرب افريقيا. ط ١ مطبعة فتيرام، لاغوس، نيجيريا ص ٦٧.
- ٢٧- المرجع نفسه، ص ١٤٢
- ٢٨- المرجع نفسه، ص ١٤٦
- ٢٩- زكريا إدريس حسين (البرفيسور): المأدبة الأدبية لطلاب العربية في افريقيا الغربية، دار النور للثقافة العربية والإسلامية أوتشي ولاية أيدو، نيجيريا عام ٢٠٠٤م، ط ١، ص ١٦٣
- ٣٠- المرجع نفسه، ص ١٧٤
- ٣١- سيد قطب: المرجع السابق، ص ١٤٦
- ٣٢- آدم يحيى عبدالرحمن الفلاني: حوار حول شخصية الإلورى، مكان النشر و تاريخه غير مذكورين، ص ٤٢
- ٣٣- المرجع نفسه، ص ٤٤
- ٣٤- المرجع نفسه، ص ٤٦
- ٣٥- سيد قطب: المرجع السابق، ص ١٤٧
- ٣٦- آدم يحيى عبدالرحمن الفلاني: مع المؤرخين في بلاد يوربا، ط ١ مطبعة Faity Printing Production, Kano، مكان النشر وتاريخه غير مذكورين، ص ١٨٣